

دلالة المخطوط (الرموز) في الفن الشعبي النسوي الصناعة التقليدية أمودجا

The significance of the manuscript (symbols) in the feminist folk art, the traditional industry as a model

زرابي أحلام^{1*}، بوبكر حميدة²

(¹) جامعة وهران 2 / الجزائر (zeribi.ahlem@univ-oran2.dz)

(²) جامعة وهران 2 / الجزائر (hamida.boubaker@univ-oran2.dz)

تاريخ الاستلام : 2021/01/05 ؛ تاريخ القبول : 2021/04/28 ؛ تاريخ النشر : 2021 05/ 20

Abstract

الملخص

The traditional industry is an important resource that holds a promising future for Algeria, especially since the latter contains handicraft products that are not the most wonderful, and this is after the marginalization that it witnessed after the entry of technology and modern technologies on the life of the citizen, and interest in traditional industry is necessary because it is a good tool for preserving the history of Algeria. And the nobility of any nation, by teaching its basics to generations, this has ceased to be a means of livelihood for many individuals. The Algerian society is an ancient society because it combines Chaouia, Kabyle, Mozabite and promotion, and if this indicates anything, it indicates the richness of the cultural heritage of these regions. Craftsmanship, and this is what symbols and designs build, because the various symbolic forms recorded on craftsmanship are conclusive testimonies that draw the ethnography of each people in forms, texts and meanings far from all abstraction, and its uniqueness with some qualities that earns it distinction and makes it interesting.

Key words: Manuscripts, antiques, folk art, textiles

تعد الصناعة التقليدية موردا هاما يحمل مستقبلا واعدا للجزائر، خاصة و أن هذه الأخيرة تحتوي على منتوجات حرفية و لا أروع و هذا بعد التهميش الذي شهدته بعد دخول التكنولوجيا و التقنيات الحديثة على حياة المواطن، و يعود الاهتمام بالصناعة التقليدية أمرا ضروريا لأنها أداة جيدة لحفظ تاريخ و عراقة أي أمة، و ذلك بتلقين أساسياتها للأجيال هذا عاد عن كونها وسيلة عيش للكثير من الأفراد. فالجتمتع الجزائري مجتمع عريق لأنه يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والترقية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على غنى الإرث الثقافي لهذه المناطق، فالعادات والتقاليد هي وليدة هذا الإرث عبر الأجيال والأزمنة من خلال تعاقب الحضارات على المنطقة الواحدة، مما يسفر على تنوع وغنى في الأنشطة الحرفية، وهذا ما تبينه الرموز والتصاميم، لأن الأشكال الرمزية المختلفة المسجلة على الأعمال الحرفية هي شهادات قاطعة ترسم اثنوغرافية كل شعب في أشكال ونصوص وفي معاني بعيدة عن كل تجريد، وانفراده ببعض الصفات يُكسبه التميّز ويجعله محل اهتمام.

الكلمات المفتاحية: المخطوط، الصناعة التقليدية، الفن الشعبي، النسيج

* الباحث المؤرسل:

1. مقدمة:

تعددت أشكال التعبير الفني في العالم البشري، إذ يعتبر الفن أرقى أنواع التعبير، فظهر جليا على يد الحضارة الفرعونية وبلاد الرافدين في الكتابات الهيروغليفية والمسمارية التي تعتمد على استخدام الأشكال لتوصيل المعنى.

فقد سعى الإنسان منذ العصر الحجري أن يطور طرق وأساليب التواصل ونقل المعارف؛ وجُسدَت هذه الكتابات في العديد من الأعمال الفنية كفن الرسم، والنقش والنحت.

ويعد الرمز أحد صور التمثيل غير المباشر الذي لا يسمى الشيء باسمه، ويُستخدم كوسيلة من وسائل التعبير عن طريق الإيحاء بالمعنى المراد عنه (دون أن يفصح عنه) وهو يقوم بدور التجسيد المادي في حين يكون مغزاه المضمون.

كما للرمز علاقة بالفكرة التي يعبر عنها وهي علاقة سببية حيث أن الفكرة هي السبب في وجود الرمز، وهي ما يثير الرمز في الأذهان، فالرمز في حد ذاته ليس له مدلول إن لم يكن هناك خلفية شائعة لمفهوم هذا الرمز.

وترجع أهمية دراسة الرموز إلى معرفة جذور هذه الرموز ومعرفة نمط تفكير شعب ما عبر الزمن، لأن الإنسان ينفرد بقدرته على إدراك الرموز وصياغتها لذا فالسلوك الرمزي سلوك إنساني (أنور، 2008، ص 2) فبلاغة الرمز في الصورة المجسدة عبر الحرف وغيرها وهيمنتها على حياتنا المعاصرة وتوجيهها لأهم إستراتيجيات التواصل الإنساني يجعلانها بؤرة إنتاج المعنى في الثقافة المعاصرة (نجيب، 2009، ص 165)

وتعود نشأة الرمز إلى عصور قديمة حتى قبل اكتشاف الكتابة، حيث كان سبيل عيش الجماعات البدائية مقتصرًا على صيد الحيوانات وهذا ما تبرزه أغلب الصخور وجدران الكهوف، وقد مرَّ بعد ذلك أكبر وأهم الحضارات كالحضارة الفرعونية والبابلية والسومرية وغيرها... إلخ ((أنور، 2008، ص 3). فنجَد هناك رموزًا من القصص الأسطورية لبلاد الإغريق والرومان، ورموزًا من قصص البطولة والصراع ونماذج من الحيوانات المجنحة وطائر الطاووس... فمثلا عُثر على أواني فخارية وقد زخرفت بخطوط هندسية وبها رموز (أنور، 2008، ص 4)

وقد استمر وتطور الرمز حتى العصر الإسلامي أين تم تصنيفه إلى ثلاثة أنواع رئيسية، وهي إما رموز دينية، رموز سياسية، أو اجتماعية (أنور، 2008، ص 5) لنجد الرموز اليوم تطغى على الحياة الاجتماعية بشكل كبير، فهو ينعكس على الكثير من مظاهر الحياة لأهميته. والرمز عند "هاني جابر" في كتابه "الفنون الشعبية" هو تعبير عن الأبعاد التاريخية التي يحملها الإبداع الشعبي - وأن الرمز يقبل التراكم الثقافي وينمو على مر العصور إلى جانب أن الرمز في طبيعته الجمالية يقبل التفاعل مع التطور الحضاري الثقافي، لذلك فإن ابتداء رمز جديد لا يقضي على ما كان قبله ولا يصبح الرمز القديم مهجورا وإنما يحتفظ بقيمته باعتباره حالة تشكيلية عبرت عن فكرة محورية تدور حول الدوافع الإنفعالية والثقافية والاجتماعية.

والرموز الشعبية هي مجموعة من الخطوط والألوان والأشكال مرسومة بمواد سهلة وميسرة يقصد بها غاية جمالية في تزيين البيوت، الحوانيت، الأواني، الجسد (مجدد، 2006، ص 671) كما تعد الصناعة التقليدية من بين المهارات المعبرة عن الفن الشعبي النسوي في الجزائر، إذ تحظى حرفتي النسيج والفخار بأهمية كبيرة في المجتمع الجزائري، والرمز كمعطى تاريخي له خلفياته الثقافية والزمنية المتعددة، إلا أن ارتباطه بهاتين الحرفتين أضفى عليهما نوعا من المسح الأنثروبولوجي، إذ أنه يحاكي الواقع الذي عاشته الأسرة الجزائرية عبر أجيال، هذا عاد أنه تجسد في كل ما يلمس الحياة اليومية للجزائري قبل وإبان الإستعمار الفرنسي وأن هناك من يعتبره رسالة للأجيال عبر الزمن.

فالزربية مثلا كانت من خصوصيات المرأة التي تحظى بإمتياز خاصة في تمازج الأشكال والألوان (حميدة، 2014، ص، ص 231-232)

وإن لكل رمز شكل خارجي يدركه الإنسان بمجرد رؤيته ومضمون يدركه ويحلله العقل ويمكن تصنيف رموز الزربية حسب (وترقيته، 2015، ص 17) كمايلي:

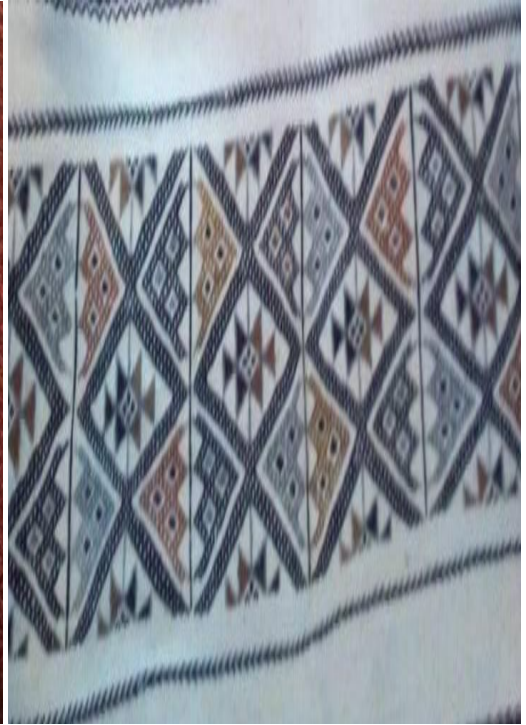
رموز نباتية: الفول، الرمان.

رموز حيوانية: العقرب، الأفعى، عين الحمار (عين الجمل).

رموز أخرى: مثل المثر، السرير، المقص، الشمع، المفتاح، المشطة، الخلاة، الصندوق، المشط، لوشام،

هناك رموز بسيطة ورموز أخرى مركبة فنجد الرموز النباتية هي رموز بسيطة لها دلالة عالمية مثل الرمان الذي نجده في الهند والصين، وعند الرومان، وهو رمز الخصوبة، إن الرموز النباتية هي رموز شبهها الإنسان بحلقة الحياة والموت فهي تبدأ بذرة تنبت من تراب ترتفع تثمر تُستغل ثمارها ثم تموت.

رمز الرمان



رمز العقرب



الأمر كذلك فيما يخص
الحيوانات حيث نلاحظ أن
الأفعى والعقرب دلالة عالمية
وجدت في كل الحضارات
والثقافات يرمز بها إلى
الخصوبة في بعض الأحيان
وإلى الشر في أحيان أخرى
نسجتها المرأة إما لدفع الشر
أو لتمثيله ولعل تموضع
العقارب على طول شريط
الرموز دلالة على وجود شر
ومشاكل تحيط بحياة المرأة.

فيما يخص عين الجمل فإن للعين دلالات عالمية وجدت في كل الحضارات فإما أن
تكون عين شر تبصر باستمرار أو العين التي تراقب وتحرس وتحفظ من الشر ولكن
في منطقة الميزاب تسمى بعين الحمار ذلك لأن الحمار في زمن معين كان من
الحيوانات التي تدخل البيت الميزابي ويخصص له مكان تجد المرأة نفسها أمام عين
تبصر فقد تكون أحست بخوف منها فصورتها أو استعانت بها لدفع الشر وكما نعلم أن
الرموز الموجودة في الثقافة البدائية والفنون التقليدية هي رموز مستمدة من
المعتقدات.



رمز عين الجمل
(عين الحمار)

أما عن رمز الأشياء فإنها تصور لنا في معظمها الوسائل والأدوات التي كانت تستعملها المرأة في زينتها وحياتها اليومية ولا نجد أشياء لا تخصها مثل أدوات عمل زوجها.

الرمز المركب
(رمز العائلة)

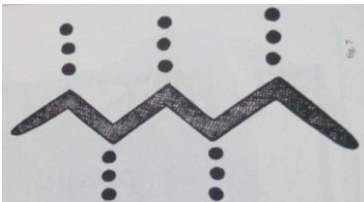


نجد كذلك توافق بين بعض الرموز وتكوينها لرمز مركب مثل المقص المفتاحين ورمز العروس والرمحان هذا الرمز يحمل فكرة كاملة لها نية في التبليغ ما دامت مختارة عن قصد إذا رجعنا إلى الثقافة البربرية وبالضبط منطقة القبائل نجد المرأة إذا فقدت شيئاً ما فإنها تعلق مفتاحاً ومقصاً حتى تجد ما فقدت، ويمكن كذلك أن نقول أنها تريد بذلك إبعاد الشر، وذلك من خلال تجسيدها لرمز العقرب.

الخلالة أو ما يسمى (تاشا)
رمز الخلالة المجدد في الزربية



رمز الأفعى



نلاحظ أن المرأة صورت حليها كالتمشرفين وأبزيم والمشطة وهي وسائل تستعملها العروس للترزين في زفافها كذلك صورت الأدوات التي تعمل بها في النسيج كالخلالة والمشط والمقص وهي وسائل ترمز إلى العمل والنشاط فالخلالة مثلا وجدت عند الفرس، الهنود وفي منطقتنا البربرية بالضبط عند الشاوية فإن المرأة هناك تقوم بوشم الخلالة في ساعديها اعتقادا منها أنها ستعطيها القوة للضرب أكثر في المنسج وحتى لا تحس بالتعب.

وهناك رموز أخرى تعلقت بالفخار، وهذا ما نجده عند النساء الجزائريات قديما، اللاتي عُرفن بالحياء الشديد واللاتي استعملن بعض الرسومات والأشكال لنقل أفكارهن والتعبير عما تختلجه صدورهن، كأن نجد مثلا البنت عند تعبيرها عن حملها عن طريق الرسم على قطع الفخار، فإذا أرادت أن تخبر والدتها بهذا فإنها تقوم بوضع احدى الرموز الدالة على ذلك في احدى الأواني وترسلها لها، كأن نجد مثلا رمز الأفعى فهو رمز شائع في الفخار القبائلي، وجد في الحضارات الهندية القديمة ولا يزال ليومنا هذا تعبر به النسوة عن أحاسيسها، وارتبط ارتباطا وطيدا بالمرأة، فهو رمز للخصوبة وارتبطت دلالاته حسب طبيعة القطعة الفخارية فنجد أحيانا دلالاته توحى إلى روح الأموات و انبعاثهم، فهو حلقة وصل بين الخصوبة، الحياة والموت (Moreau, 1976, p. 111).

يبقى الرمز هو ذلك الأثر الذي يخلفه الفنان في الزمان والمكان من خلال التراكمات الذاتية التي تنتج من خلال نتاجات سيكولوجية وسوسيوقافية.

وهنا نستطيع القول أن الفخار والزربية هو خطاب فكري للتعبير عن البيئة الطبيعية والضغط السيكولوجية، فهو يعكس الوضعية النفسية للمرأة من فرح وحزن، ولا يمكن البوح بها علناً خوفاً من المحيط العائلي

قائمة المصادر والمراجع:

- الشربجي، مصطفى محمد. (2006). رؤية حديثة للرموز الشعبية كقيمة تشكيلية وتوظيفها في تصميم مكملات أقمشة المفروشات المطبوعة. قُدِّمَ إلى مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة،. مصر: كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان.
- بوبكر، حميدة. (2014). التسويق السياحي من خلال الصناعة التقليدية الفنية. . الجزائر: مذكرة ماستر غير منشورة، جامعة وهران، وهران.
- ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته. (2015). الزربية بولاية غرداية. الجزائر: وزارة الثقافة.
- صبطي، عبيدة، وبخوش، نجيب. (2009). الدلالة والمعنى في الصورة. الجزائر: دار الخلدونية.
- عبد الله، منى محمد أنور. (2008). الرمز في الفن الشعبي التشكيلي بمصر واستخدام رموز الحب والكراهية في تصميم المنتجات. . فيلادلفيا.: مؤتمر الدولي الثالث عشر لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا.